بسم الله الرحمن الرحيم سبحن الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصا الذى بركنا حوله لنريه من ءايتنا إنه هو السميع البصير ۞ وءاتينا موسى الكتب وجعلنه هدى لبنى إسرءيل ألا تتخذوا من دونى وكيلا ۞ ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا ۞ وقضينا الى بنى إسرءيل فى الكتب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا ۞ فإذا جاء وعد أولهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلل الديار وكان وعدا مفعولا ۞ ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددنكم بأموال وبنين وجعلنكم أكثر نفيرا ۞ إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الأخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ۞ عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكفرين حصيرا ۞
صدق الله العظيم

الإسلام وفلسطين

Islam and Palestine

نشرة غير دورية تهتم بشؤون الاسلام والقضية الفلسطينية

العدد السادس / السنة الاولى ١٧ ذو الحجة ١٤٠٨ ١ اوغسطس (آب) ١٩٨٨

الافتتاحية

الانتفاضة: من أيام الله في فلسطين

ما زالت الانتفاضة المباركة التي يخوضها شعبنا المسلم في فلسطين مستمرة، لا تفتر هنا حتى تشتعل هناك، ولا تهدأ اليوم حتى تتأجج غدا.

أما أيام الجمعة فقد أصبحت جميعها أيام التصعيد والمصادمات والحشد واحياء للانتفاضة وأصبحت مدينة الاقصى، ولا سيما أيام الجمعة مركز الصدام وتأجيج المواجهة مع العدو الكافر. مما يجعلنا نقول اولا، أن ايام الجمعة أصبحت من أيام الله في فلسطين، كما أصبحت دليلا دامغا على العمق الاسلامي في الانتفاضة المباركة المستمرة طويلة الامد. فالبعض حاول تجيير هذه الانتفاضة الى فئته، وحزبه، بينما استمرارها وما كشفت عنه من ظواهر خارقة في احتمال الشعب ومشاركته لا يسمح بتجييرها الا الى ارادة ربانية ترجمت نفسها عبر جماهير الامة رجالا ونساء شيوخا واطفالا شبيبا وشبيبة. هذا هو سرها العظيم الذي أدهش العالم وأوقع الحيرة في صفوف الاعداء. فقد ظن العدو الكافر أن اضطهاد المجاهدين من طلائع الامة اعتقالا وابعادا سوف يقضي على الانتفاضة، واذا بها تزداد تأججا، وظن ان الامعان في القتل والتعذيب والارهاب الجماعي سوف ينهي الانتفاضة واذ بها تستمر وتتعاظم.

وحاولت أجهزة الاعلام أن تطمس دور الاسلاميين في الانتفاضة، فالبعض راح يصرح أن دورهم جزئي أو هامشي، وبعضهم راح يتصور أن الانتفاضة تتحرك بسبب ما يصدر من بيانات وتعليمات. ولكن اين يذهب كل ذلك أمام الحقيقة الناصعة التي جعلت من المساجد، ومن أيام الجمعة، ومن الأقصى، محاور التحشيد واستعادة الانفاس والانطلاق والتصعيد، هل هذه نوادى السياسة، أم هي مراكز رياضية، أم جامعات علمانية أما مقرات منظمات، واحزاب؟ انها، على التأكيد، ليست الا مساجد الاسلام والمسلمين وإيام الجمعة ايام الاسلام والمسلمين، والاقصى، أولى القبلتين وثالث الحرمين محط آمال المسلمين، فكيف بعد هذا يجوز ان ينكر دور الاسلام في شحن الشعب بمقومات الصمود والصبر والتضحية والشجاعة في المواجهة؟ وكيف ينكر دور أهل المساجد في الانتفاضة والمواجهة والقتال؟ فاذا كنا نأبى أن نعيد الفضل فيما جرى ويجري لغير الله تبارك وتعالى، ونأبى أن نجعل فوق دور الجماهير المؤمنة العفوية دورا لفئة من الفئات سواء أكانت اسلامية أم غير أسلامية، ونأبى أن نجعل دورا فوق دور المساجد وأيام الجمع والمسجد الاقصى، فأننا لا نغمض دورا للمجاهدين الاسلاميين كافة، ولا دورا للمناضلين من فتح وسائر فصائل الثورة الفلسطينية كافة، فلا شك ان الجميع أسهم وضحى وأعطى. ولعل من الخطأ ان نبدأ بتوزيع التركة من الآن كأن الامر تركة وغنائم، أو نخوض في اعطاء الشهادات لهذه الفئة أو تلك بأنها أكثر فضلا وجهادا أو نضالا من غيرها، فهذا أمر نتركه لاجهزة اعلام الصحافة الغربية والعربية لتصطاد، من خلاله، في الماء العكر، ونتركه لمن يهمه، أكثر ما يهمه، من الانتفاضة ان يذكر دوره. أما نحن فنرى ان عطاء الاولوية للحديث عن صاحب الدور الأهم فردا أو تنظيما، أو منظمة، على المستوى الاسلامي أو الوطني، اتجاها خاطئا وفي غير مكانه. لانه سينقل المعركة الى داخل الانتفاضة، ولا يساعد على توحيد الجهود في مواجهة العدو. ولانه سيشمت الاعداء بنا ويكشف العورات حين يقع كل في فخ التباهي بما عمل، وليكن مثلنا في هذا الامر قول الله تعالى «الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا أذى لهم اجرهم عند ربهم، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون» (البقرة، ٢٦٢). ولهذا ان من الافضل ان نجعل هدفنا، بعد شكر الله على ما انعم على شعب فلسطين والامة كلها من انتفاضة مباركة مستمرة، ان ندفع الى الخلف كل ما من شأنه ان يفرق صفوف العاملين في الانتفاضة مهما كانت انتماءاتهم الفئوية والتنظيمية والحزبية، وان ندفع الى الامام كل ما من شأنه ان يساعد على استمرار الانتفاضة وتصعيدها حتى لو كان في ذلك غمضا لدورلنا وليكن شعارنا: كل اسهم وله فضل اما من أسهم أكثر من غيره فليترك حكم ذلك لله بالنسبة الى من همه حكم الله، أو يترك ذلك لحكم الناس بالنسبة الى من يهمه حكم الناس، أما حكم المرء عن نفسه فلا يلزم غير نفسه، والناس تحكم بما ترى وتلمس، لا بما تقول عن نفسك. فالمسألة الأهم الآن هي جعل ايام الله تتواصل على الارض المباركة وتحبط كيد العدو الذي يريد انهاء الانتفاضة. لان استمرار

البقية على ص ٤

في هذا العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

مركزية قضية الجهاد

تشكل قضية الجهاد في فلسطين مركزا في كل استراتيجية اسلامية طامحة الى جعل كلمة الله هي العليا في حكم الامة، وفي مختلف شؤون حياتها، أو عاملة لتحرير الامة ووحدتها ونهضتها، وقد كنا نعذر، باستمرار، كل حركة اسلامية تجد نفسها مضطرة لخوض معارك جانبية، أو مضطرة الى تركيز الجهود على أوضاعها وهمومها المحلية، مما يجعلها تبتعد بهذا القدر أو ذاك عن تركيز الجهود من أجل فتح المعركة مع العدو الصهيوني، والسعي لرفع الجهاد الاسلامي في فلسطين. ولكن أمر الجهاد في فلسطين يصبح أكثر الحاحا حين تتسلم قوى اسلامية مقاليد القيادة في بلادها، وتعد قادرة على التحرك كدولة ذات امكانات من أجل خوض تلك المعركة.

ان الواقع الاسلامي الراهن بابتعاده عشرات السنين عن دولة الخلافة الواحدة، وغرقه عشرات السنين ايضا، في ظروف التجزئة القطرية التي فرضتها القوى الاستعمارية، منذ أن وضعت يدها على بلاد المسلمين، فرض على العمل الاسلامي ان يراعي هذا الواقع التجزيئي. أي يراعي ظروفه المحلية وهو يجاهد في سبيل الله. ولكن هذه المراعاة معرضة للوقوع في وهدة الغلو فيصبح القطر غاية بحد ذاته، بل قد يصل الامر الى عصبية قطرية تبتعد عن اتجاه البوصلة الاسلامية التي تجعل من وحدة الامة أولوية تعادل في اهميتها العدل في الاسلام. ومن هنا كانت المعادلة الصعبة تكمن في كيفية اقامة التوافر الدقيق بين مراعاة الظروف المحلية والاوضاع الخاصة في كل مصر من أمصار الاسلام من جهة، وبين تحقيق الوحدة الشعورية والسعي للوحدة في عدد من النضالات المشتركة، وصولا الى الوحدة الحقيقية التي تجعلنا أمة واحدة، بكل ما تحمل الكلمة من معنى. وقد يقال كثير في كيفية تحقيق هذا التوازن الدقيق ولكن المسألة لا تقتصر على الاقوال والنيات، بالرغم من أهمية الاقوال السديدة، والنيات الصادقة الحسنة، وانما يتطلب الامر، ايضا، استراتيجيات محكمة تحدد آفاق العمل القطري ضمن خصوصيات البلد المعني كما تحدد استراتيجية العمل الموحد العام. فاذا كان من الممكن ان تتعدد الاجتهادات فيما يتعلق بالاستراتيجية الانسب للعمل في هذا البلد أو ذاك، ولكن الاجتهاد يضيق حين يتعلق الامر بالاستراتيجية الانسب للعمل على المستوى العام.

وهنا تقع قضية تحرير الارض المباركة المسماة بقضية فلسطين، أي تقع استراتيجية الجهاد ضد العدو اليهودي الصهيوني المغتصب لتلك الارض والمعتدي على المسلمين والمقدسات في مركز الاستراتيجية العامة لكل الحركات الاسلامية. فما من قضية من قضايا الامة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ذات مستوى اسلامي جذري، وذات ابعاد سياسية تحررية تهم الامة كلها مثل قضية تحرير الارض المباركة: فلسطين. ومن ثم ما من قضية تقع، بعد العقيدة، يمكنها ان تكون دافعا لتوحيد الامة وعاملا ايجابيا لتحقيق ذلك التوحيد مثل رفع راية الجهاد من أجل تحرير الارض المباركة فلسطين. لذلك حين يترجم العمل الاسلامي في كل قطر من الاقطار هذا الهدف في برنامجه القطري، ويبحث عن دور يقوم به في سبيل نصرة هذا الجهاد في فلسطين والمشاركة فيه، وأشكال ذلك متعددة ومتنوعة، فسوف يجد الجميع انفسهم في خنادق واحدة بالنسبة الى قضية عملية واحدة على الأقل. فالعقيدة هي أساس وحدة الامة، وأن تاريخ تكوين هذه الامة يشكل الاساس العميق لواقعية تلك الوحدة. ولكن هذين الاساسين يحتاجان في ظروف التجزئة الراهنة الى قضية تحملها استراتيجية جهاد محددة يجد الجميع مكانا لهم في حناياها، حتى يكون في المقدور، باذن الله تعالى، تجاوز العقبات التي أقامها اعداء الاسلام في وجه وحدة الامة الاسلامية، فقضية تحرير الارض المباركة فلسطين ليست قضية اسلامية شرعية فحسب وليست واجبا دينيا فحسب وليست مسألة استراتيجية دولية في صراع الامة ضد أعدائها فحسب، وانما ايضا معامل لاستعادة وحدة الامة في جهاد عملي ملموس. ولهذا تصبح كشافا لصحة أو خطأ السياسات والاستراتيجيات المطروحة على مستوى الساحة الاسلامية. فبقدر ما نقترب منها عمليا بقدر ما نصل الى الصواب والصحة والسداد في سياساتنا ونشاطاتنا العملية وبقدر ما نبتعد عنها، مهما كانت الاسباب والموجبات، بقدر ما تكون سياساتنا ونشاطاتنا العملية معرضة للخطأ والخطل والخلل ونكاد نقول ربما للانحراف أحيانا.

اذا كان العمل الاسلامي خارج فلسطين، مضطرا لخوض صراعات محلية من أجل التغيير، ومضطرا لعدم تقديم مساهمة عملية في نصرة الجهاد في فلسطين تحت حجة تنظيف البيت اولا أو تأمين ظهر العمل ثانيا، فان حجته تلك وجيهة، ويشعر بوجاهتها كل من يلمس ما يلاقيه الجهاد في فلسطين من صعوبات وسلبيات. ولكن لا بد من عدم الركون الى تلك الحجة الى حد نجد فيه انفسنا غير ناجحين في احداث التغيير في قطرنا كما نجد انفسنا بعد حين من الدهر لم نقدم شيئا ملموسا للجهاد في فلسطين كذلك. ولهذا اذا ما وجد المرء نفسه أمام مأزق داخلي أو أزمة داخلية بحيث يبين له صعوبة احداث التغيير لمرحلة طويلة في قطره، أو حين يجد نفسه غير مطمئن لنتائج عمله الجهادي في بلاده، فما عليه ألا أن يسرع بالامساك باستراتيجية الجهاد في فلسطين فيكون قد فاز باحد الواجبين بدلا من أن يقعد ملوما محسورا حين لا يفوز بكلا الواجبين معا، أما الذين يجدون أنفسهم سائرون على طريق النجاح في احداث التغيير في قطرهم، فعليهم ان يركزوا على ذلك أشد التركيز، ولكن مع التذكر دائما أن خروجهم من العصبية القومية أو القطرية ومن التجزئة والانعزال عن الامة ولا سيما حين يمسكون بالسلطة لا يكون، من الناحية العملية، الا من خلال جعل قضية فلسطين وقضية الجهاد من أجل تحريرها في صلب أو في مركز استراتيجيتهم. أما استمرار التأجيل أو التعلل بقضايا أخرى ودحر المسألة الفلسطينية الى مرتبة رابعة وخامسة أو سادسة في أولو ياتهم السياسية، فلن ينجم عنه الا تعرض سياساتهم عموما، الى الاخطاء والسلبيات أو الاخفاق بينما التركيز على مسألة الارض المباركة ووضعها في أولوية السياسات الخارجية والداخلية والاستعداد لتقديم أكبر التضحيات في سبيلها بما في ذلك الاستعداد لفقدان سلطة الحكم ان كان ثمن الاحتفاظ به هو التخلي عن هذه القضية والابتعاد عن الجهاد في سبيلها، فمن شأنه ان يبقى اتجاه السياسة والعمل في الاتجاه الصحيح بل وربما ساعد على النجاح في كسب المعارك المحلية وانجاز المشاريع ذات الخصوصية القطرية.

ينبغي لنا ان نلحظ هنا أن قضية فلسطين باعتبارها قضية اسلامية وذات مركزية في العمل الاسلامي حظيت من الكثيرين بسخاء في الشعارات والخطب وبشح في العمل الفعلي والترجمة الواقعية لتلك الشعارات والخطب. كما لا بد من أن يلحظ ان قضية الارض المباركة فلسطين مغرية جدا للتغزل بها والاكتفاء بذلك، واللجوء الى التحدث عنها كعملية فرار من أزمة بدلا من أن يكون الامر جادا قولا وعملا. ولكن جاء الوقت الذي لم يعد من المسموح به ان نسمع أقوالا ولا نجد اعمالا ملموسة ولنذكر قوله تعالى «كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون» (الصف: ٣).

المشروع الاسلامي في فلسطين:

الوحدة في ساحة العمل

لا يكاد يختلف اثنان على ان الساحة الاسلامية الفلسطينية ذات خصوصية تعددية متميزة عن معظم ساحات أقاليم الوطن الاسلامي. فهي لا تحمل ميراث التعدد الاسلامي ذي التاريخ الطويل فقط، ولكنها أيضاً وبسبب الشتات الفلسطيني الواسع تعكس تعدد الساحات والاتجاهات الاسلامية في المنطقة العربية والعالم الاسلامي معاً.

• • •

فمن الناحية الاولى تأثر الاسلاميون الفلسطينيون كما اخوتهم في أنحاء العالم الاسلامي الأخرى بتيارات التاريخ والتراث الاسلامي الحيوية التي استطاعت إعادة انتاج ذاتها عبر القرون. وكان بروز التعدد الاسلامي في القرون الهجرية الاربعة أمراً طبيعاً وصحياً ودلالة على اتساع دائرة هذا الدين العظيم وقدرة نصه الاساسي على الاستجابة للحاجات المختلفة أو المتنوعة بين الشعوب والمناطق التي أنطوت تحت رايته. وقد ساعد التمييز الفقهي بين الثابت والمتغير في الشريعة الاسلامية ونشاط حركة الاجتهاد على ان يقدم الفقه الاسلامي والعقائديون الاسلاميون اجابات متعددة على اسئلة زمانهم وآخرى متعددة من زمان الى آخر، قبلتها الامة جميعاً - الا القليل - داخل دائرة الدين الحنيف الواسعة.

فقد تجاورت مدرسة النقل ومدرسة العقل في الفقه الاسلامي في زمن واحد، كما تزامن المعتزلة وأهل السلف والمتصوفة. ومن حقبة زمنية الى أخرى ونظراً لعوامل متعددة كانت تيارات تختفي وأخرى تسيطر. وتيارات تحكم وأخرى تعارض وتيارات تزدهر بين الخاصة وأخرى تنتشر وتستقبل بولاء أكبر من العامة.

وعلى مر القرون اختفت مذاهب فقهية كبيرة لفقهاء كبار وبقيت أخرى يتبعها الملايين من المقلدين. ان فقه الطبري وفقه الأمام الاوزاعي وفقه أبن سعد وفقه أبن حزم لم تعد لهما فعالية اجتماعية تذكر رغم ان انتاج معظم هؤلاء الفقهاء قد سجل وحفظ في المكتبة الاسلامية عبر القرون وما زال ميداناً هاماً للبحث. الا ان المذاهب الفقهية الفعالة الحية داخل الامة الاسلامية اضافة لاتجاه اللامذهبية، لا تقل تعدداً وتنوعاً عما اندثر. واذا وضعنا المتصوفة في الحساب كأتجاه فقهي وعقائدي معاً لازدادت الصورة تنوعاً.

وعلى مستوى المذاهب العقائدية ازدهرت في القرون الاولى مذاهب، ما لبثت أن اختفت نهائياً - في القرون التالية - عن الخارطة الفكرية والجماهيرية الاسلامية، كالمرجئة والمجسمة، فيما استمرت «المعتزلة» كتيار محدود في أوساط النخبة فقط وما زالت كذلك. ولكن اتجاهات كالسلفية والاشعرية والمتصوفة استطاعت عبر القرون ان تعيد انتاج نفسها لتتكرس كاتجاهات عقائدية أساسية في المعاهد العلمية الاسلامية وبين جماهير المسلمين. والفلسطينيون جزء لا يتجزأ من الأمة الاسلامية، نهلوا من تراثها وارتبطوا بتاريخها، ورغم مصاعب المئة عام الاخيرة، ومحاولات انهائهم ككتلة اجتماعية ووطنية وطمس هويتهم الاسلامية، الا أنهم استطاعوا، وخاصة في العقدين الماضيين ان يعيدوا تثبيت هويتهم وارتباطهم العميق بدينهم. وكما وجدت الاتجاهات الفقهية والعقائدية الاسلامية المتوارثة مواقع قوية لها داخل جسم الأمة ككل، وجدت أيضاً مواقع لها في الجسم الفلسطيني الاسلامي. وانعكست ظاهرة التنوع والتعدد على الوضع الفلسطيني بكل ما تحمله من مرونة واتساع.

• • •

واذا نظرنا الى الناحية الثانية والخاصة بالشتات الفلسطيني الكبير فسنجد عاملا آخر لا يقل أهمية عن التراث والتاريخ في صنع ظاهرة التنوع والتعدد الاسلامية الفلسطينية. ولاشك أن فلسطين بحجمها السكاني الصغير وابتعادها عن مراحل الاستقرار الطويلة عبر التاريخ الاسلامي، لم تكن ساحة ابداع وتفاعل وتحرك فكري وثقافي وسياسي كما كانت مصر مثلا أوتركيا أوشبه القارة الهندية. ولكن المراكز الاسلامية الكبرى كانت باستمرار تترك انعكاسات هامة على الساحة الفكرية والسياسية الفلسطينية. وفي الخمسين عاماً الماضية، وبعد ان توزع مئات الآلوف من الفلسطينين على العواصم والامصار العربية والاسلامية في شتات اجباري طويل، ازدادت عملية التأثر والتأثير. ومع بروز الدولة القومية الحديثة وتحديد حدودها ورفع اعلامها المستقلة برزت في الجسم الاسلامي الفلسطيني ظاهرة التوتر المستمرة بين التأثر بتجارب الاخرين والحفاظ على الكيانية المستقلة. فهناك جماعة فلسطينية اخوانية وجماعة تحريرية وجماعات صوفية وأخرى سلفية.. الخ.

ولاشك أن حدث النكبة الكبير وظروف الصراع الهائلة التي جابهت - ولا تزال - الفلسطينيين، قد أعطتهم حيوية كبيرة وحيوية سياسية بشكل خاص. وهكذا اتسمت ظاهرة التأثر ونقل التجارب من التيارات والاتجاهات الاسلامية الاخرى في مناطق الشتات، بسمة سياسية في أغلب الاحيان، ونقصد بذلك تموضع التوجه الفكري الاسلامي في جماعة سياسية. وليس في ذلك ما يعيب على الاطلاق، واضعين في الاعتبار حجم الهجمة الهائل على الشعب الفلسطيني وحاجة هذا الشعب لادوات متعددة وفعالة ومستمرة للرد على الهجمة.

الا ان ذلك في النهاية قد ساهم مساهمة جديدة في سمة التعدد والتنوع الاسلامي في الساحة الفلسطينية.

في فترات النهوض الاسلامي، كانت الأمة لا ترى في الغالب في ظاهرة التنوع والتعدد الا ايجابيتها. فقد جاء هذا الدين للبشر كافة، عبر كل الزمان - والى يوم القيامة - وكل المكان. ويعطي التنوع داخل الدائرة الاسلامية فرصة لمقابلة حاجات الناس المتنوعة وتقديم اجابة اسلامية لأسئلة المراحل والمجتمعات المختلفة.

ولكن تقادم الزمن واستقرار تيارات اسلامية فقهية وعقائدية عبر القرون اعطاها هالة من القداسة لم تكن تحملها في مراحل ولادتها الاولى، ولم يكن الفقهاء والائمة العظام من أجدادنا يريدونا اصلا أويفكرون بها كمقصد من مقاصد حركاتهم الاجتهادية والتجديدية الكبرى. كما ان وقوف الامة في جانب الدفاع منذ اكثر من قرن على الاقل، وصعود عالمية أخرى وهيمنة غربية واسعة معقدة على

قـــــراءات

شؤون العالم، وتزايد احساس المسلمين بتهديد النموذج الغربي لدينهم وتاريخهم وهويتهم قد دفع الحساسية العصبية الى درجات عالية، ربما ما كنا سنشهدها لو كان الوضع العالمي مختلفاً. فكل جماعة فكرية أو سياسية أو عقائدية أو فقهية ترى في نموذجها أو أطروحتها طريق الخلاص الوحيد وطوق النجاة المعصوم، وسواء صرحت بذلك أو لم تصرح، فواقع الحال ينطق به ويجسده.

وأصبح التقاء القوى أو تفاهمها وتآلفها على طريق مشترك لنصرة الدين ورفع رايته مسألة في غاية الصعوبة والتعقيد، تقوم في طريقها عثرات عديدة، ان لم تكن مستحيلة بالفعل (!).

وكان أن زاد الطين بلة على الساحة الاسلامية الفلسطينية ان قضية الهجمة الغربية الصهيونية على فلسطين وتشريد شعبها وتمركزها في بيت المقدس كقلب للتحدي الغربي للعالم الاسلامي كله، قد غيبت لسنوات طوال عن الساحة الاسلامية. وكان هناك الكثير من الاسلاميين الذين لم يروا ذلك الارتباط التاريخي العميق بين تراجع الامة وهزيمتها وتبعيتها وبين العلو والافساد الاسرائيلي في فلسطين. ومن ثم غاب عن المشروع الاسلامي بأطرافه المتنوعة والمتعددة العلاقة بين مواجهة الهجمة في فلسطين وبين مسألة نهضة الامة الاسلامية ككل.

وهكذا استمرت ظاهرة التنوع والتعدد الاسلامي في فلسطين في فرز سلبياتها فقط بدون أن تكون لديها مهمات ايجابية كبرى. فهي ظاهرة ملحقة بالاوضاع العربية والاسلامية الاخرى بدون ان تكون لديها فرصة المساهمة في النهوض الاسلامي في الاقاليم العربية والاسلامية.

ووجودها مؤطر وقائم على أرض الهم الفلسطيني الوطني بدون ان تحاول فتح الصراع مع العدو الصهيوني النقيض الاساسي للشعب الفلسطيني المسلم. وكانت المأساة الاكبر ان يقوم المشروع الوطني الفلسطيني فيما الاسلاميون ينظرون بحيادية يحسدون عليها!.

ولكن الأعوام القليلة الماضية شهدت تحولات هامة في الساحة الاسلامية الفلسطينية. فقد تقدمت قوى ومجموعات اسلامية فلسطينية خطوات واسعة نحو مواجهة العدو الصهيوني طامحة لان تصبح رأس رمح لتوجه اسلامي شامل لقوى الامة كلها، يحسم الصراع في النهاية مع التحالف الغربي الصهيوني ويبلور مشروع النهضة الجديدة. وبشكل أو بآخر عادت فلسطين كهم أساسي لمعظم القوى الاسلامية الفلسطينية وللعديد من القوى الاسلامية في العالم. وأصبح هناك ضرورة لايجاد صيغة لوحدة القوى الاسلامية الفلسطينية كشرط لقيام المشروع الاسلامي في فلسطين. فأي طريق هو الممكن لايجاد تلك الصيغة؟

هل يفتح الاسلاميون الفلسطينيون باب المناظرات والجدل ليقنع كل طرف بصوابية رؤية الطرف الآخر؟ وهل يمكن ان يحل ذلك الطريق ترسبات التاريخ والتراث وهالات القداسة وأطر العصبية وقناعات السنين والعقود؟

أم يترك الأمر لعوامل «الاغلبية» و«الأقلية» بكل ما تحمله تلك من أبواب للخلاف والاتهامات والشكوك؟ والمسلمون في النهاية بشر ككل البشر ويحمل كل منهم في داخله نفساً انسانية ككل الانفس!

ان رفع الراية الاسلامية في الساحة الفلسطينية يعني عملا شاقاً ومتواصلا وتضحيات جمة وهائلة تحقق بها المسلمون مجد الاسلام في الدنيا وارضاء الله عز وجل في الآخرة. وان كانت هناك صيغة ممكنة وعادلة لوحدة القوى الاسلامية باتجاه المشروع الاسلامي في فلسطين فهي صيغة العمل والانغماس في ساحة الجهاد والتضحيات. وليبق التعدد على ساحة العمل في تلك اللحظة عاملا ايجابياً - كما كان دوماً - يساهم في توكيد مرونة واتساع دائرة هذا الدين العظيم.

وان كان لطريق الوحدة في ساحة العمل سلبياته، بكل ما يحمله ارهاق العمل من ضغوط وتوتر، فهو الطريق الاقصر والاكثر تجنباً لسلبيات التعدد بلا عمل أو صيغ الوحدة الهشة. وهذه الامة لم تعرف يوماً لحمة تربطها كلحمة الشهادة ودم الشهداء.

تتمة الافتتاحية

الانتفاضة بالاشكال التي تولدها مجريات الصراع الواقعي سوف يلعب دوره في ايقاظ الامة. وفي فت العدو، بل في تهيئة ظروف قد تسمح لجماهير بعض اقطار العرب والمسلمين أن تهب بجموعها الغفيرة فتضم صوتها الى صوت جماهير الاقصى في النداء العظيم «الله اكبر»، «لا اله الا الله»، نداء تحرير الارض المباركة، نداء تحرير الامة ووحدتها ونهضتها، نداء دحر الاعداء ودب الرعب في قلوبهم.

أن استمرار الانتفاضة وما يعنيه ذلك من أبعاد على مستوى العمل الجهادي في فلسطين وخارجها يتطلب من القوى الاسلامية كافة داخل فلسطين وخارجها ان تنكب على دراسة السبل التي ترتفع بعملها وسياساتها الى مستوى هذا التحدي لكي تستطيع أن تنهض بالعمل الاسلامي الى مستويات جديدة تتناسب مع المستويات التي انتقل الصراع اليها مع استمرار الانتفاضة. فالعدو الصهيوني يقاتل باستماتة ضد العاملين بنشاط في الانتفاضة ولا سيما الاسلاميين منهم، ويركز في ذلك على ملاحقتهم وسجنهم، وابعادهم وهو ما يتطلب من القوى العاملة الاسلامية ان تعد لهذا الامر عدته من أجل المحافظة على زخم دورها واستمراريته في الانتفاضة. كما ان اجهزة الاعلام الغربي والعربي أخذت تخفف من ابراز الانتفاضة عموما كما أخذت تتعمد طمس الدور الاسلامي فيها. وهو ما يفرض على القوى العاملة الاسلامية، والوطنية، ان تكافح ضد هذا التآمر وتفضحه ولا يكون ذلك الا بارتفاع في مستوى النشاطية والوعي. وعلى القوى الاسلامية في هذا الصدد ان تثبت انها الاقدر على التقاط المستويات الجديدة من الصراع، والاقدر على طرح الشعارات الصحيحة التي تعلو على الفئوية الضيقة، وتقدم المهام الكبرى على المكاسب الآنية السريعة، بل تثبت انها الاقدر على التضحيات الكبرى وانزال الضربات القاصمة في صفوف قوات العدو.

في هذا القسم تعيد «الاسلام وفلسطين» نشر بعض المقالات والدراسات التي سبق نشرها في وسائل الاعلام العربية والعالمية المختلفة والتي تهتم بشؤون الاسلام والقضية الفلسطينية. ومن البديهي أن تعكس هذه المقالات آراء كتابها فقط بدون أي مسؤولية لـ «الاسلام وفلسطين» عن محتواها أو اتجاهاتها أو اخطائها السياسية أو التاريخية.

الانتفاضة الفلسطينية: أسبابها، آلية استمرارها...

منذ بدء الانتفاضة الفلسطينية، دخل الصراع العربي ـ الصهيوني بعداً جديداً. فقد برز الفعل الفلسطيني داخل الارض المحتلة كفعل شعبي عميق الجذور أعزل السلاح، تستند وسائله الكفاحية الى جرأة عالية، وفهم عميق لعقل العدو، إضافة الى أساليب مبدعة في أشكال التنظيم الحديثة. فلأول مرة منذ بدء الصراع العربي ـ الصهيوني يبرز نموذج شعبي منظم (ولا أقصد التقليل من قيمة النماذج السابقة ودورها)، يربط بين العملية والتخطيط ومعرفة الواقع بأبعاده. لقد شكلت هذه الصفات الواضح توافرها في الانتفاضة، عناصر نقيضة للكثير من أنماط العمل الشعبي العربي، التي تميزت بطغيان الارتجال والانفعال واللاعلمية في المنطق كما في الممارسة، في القيادة كما في القاعدة. ان نجاح الانتفاضة، حتى الآن، في مواجهة أكثر الجيوش والادارات الاستعمارية حداثة وتنظيماً وحنكة يدل على أن الصهيونية وسياستها قد انتجت نقيضها في الواقع الفلسطيني. هذا النقيض، الذي يشكل امتداداً لكل التيارات السياسية الفلسطينية المشكّلة لمنظمة التحرير الفلسطينية، لديه من المهارة والتنظيم ما يساعده على تجاوز أحدى أكثر النواقص التي حكمت العمل الوطني الفلسطيني والعربي على مدى قرن من الصراع.

ويواجه الكيان الاسرائيلي نتيجة للانتفاضة أكبر أزمة وأهم تحد واجهه على مدى ٤٠ عاماً منذ اقامته. فكل الحروب السابقة ـ وكل أشكال القتال ـ لم تهدده وتهدد وضعه بالطريقة التي صنعتها الانتفاضة. لقد ابتلعت اسرائيل مليوني عربي لتكتشف أن لهم ارادة وهوية ونظاماً جماعياً وحقوقاً وقيماً لا يمكن القفز فوقها. وستكتشف مع الوقت أن ما ابتلعته يفعل فعله في أمعائها وأحشائها لا على حدودها الخارجية حيث يسهل الانقضاض عليها. وانه بلا حل سياسي عادل تقبل به الضحية أولا، فلن يكون المستقبل المقبل سوى استمرار لحالة الصراع الحالية. لقد وضعت الانتفاضة الحركة الصهيونية أمام أزمة حقيقية.

لقد تفجرت هذه الانتفاضة بعد سنوات من الانحطاط والتراجع على المستوى العربي، اذ جاءت في مرحلة التفكك الداخلي العربي والاقليمية المحلية والحروب الأهلية، المستترة والمعلنة، ونمو الطائفية وسيطرة الدولة على المجتمع، وفي ظل تفاقم الحرب العراقية ـ الايرانية، وحرب لبنان الأهلية، وحصار مخيمات الفلسطينيين. نبعت الانتفاضة في وقت تحولت القضية الفلسطينية الى هم عربي ـ لقضية عربية ـ عربية ـ عوضاً عن أن تكون قضية تعانيها اسرائيل. برزت الانتفاضة الثورة في ظل هبوطنا الجماعي، وأخذنا لدور هامشي في المنظومة العالمية. فبعد أن تحولت الظواهر الكفاحية العربية الى مآس، والحروب العربية المجيدة الى هزائم، وبعد أن أصيبت البلاد العربية من ألوان التآكل والانحطاط صنوفاً، عبرت الانتفاضة كحالة عربية جديدة فيها ملامح نهضوية مستقبلية.

لقد طرحت العديد من الأسئلة المتعلقة بجذور وأسباب الانتفاضة، وطرحت أسئلة حول بدايتها، وهل هي ثورة عفوية أم منظمة؟ وأثيرت أسئلة أخرى تتعلق بأهدافها ومراميها. هذا ما ستحاول هذه الدراسة الاجابة عنه.

أولا: مسلسل الاحداث السابق للانتفاضة

منذ ضربة الحركة الوطنية الفلسطينية المأساوية في عام ١٩٨٢ خارج الأرض المحتلة (غزو لبنان)، وداخل الارض المحتلة (حل البلديات المنتخبة)، بدا واضحاً ان الفلسطينيين دخلوا عهداً مظلماً. فبينما كانت الحركة الوطنية الفلسطينية في أواسط السبعينات، داخل وخارج فلسطين، في أوج قوتها وأكتمال بنيانها الذاتي، جاء عام ١٩٨٢ ليدفع بها خطوات الى الوراء. فنتيجة لأحداث عام ١٩٨٢، دفعت الحركة الوطنية الفلسطينية فاتورة الخلل الكبير في ميزان القوى، بين الوضع العربي الممزق (اتفاقات كامب ديفيد وآثارها)، والوضع الصهيوني المتماسك والمستند الى موجة استيطانية جديدة بقيادة الليكود.

وعندما تأكد لأ بناء الداخل المحتل بأن تجربة العمل المسلح في الخارج تواجه ظروفاً صعبة، بدأ الوضع يأخذ منحى جديداً، أي بدأت تبرز تحولات تشير الى أن الارض المحتلة في طريقها للتحول الى مركز ثقل جديد للحركة الوطنية الفلسطينية. هذا، وقد برزت البدايات الجديدة في الضفة الغربية وغزة عام ١٩٨٥، وذلك على شكل حملة اغتيالات فردية موجهة ضد المستوطنين اليهود. ففي تموز/يوليو ١٩٧٥، قُتلت مدرّستان اسرائيليتان في الضفة الغربية، وبعدها بأيام، قتل وسط نابلس أحد أعضاء الحكم العسكري المعروفين بعنصريتهم. ثم في العاشر من آب/أغسطس ١٩٨٥ طعن مستوطن اسرائيلي بوسط الخليل. وفي الرابع والعشرين من الشهر نفسه قتل مستوطن آخر في طولكرم. وتوج هذا التوجه الجديد في أواخر آب/أغسطس، عندما هاجم شاب بسكينه جنديين اسرائيليين وهما يقومان بمهام الحراسة في وسط مدينة الخليل، فقتل الأول وجرح الثاني قبل أن يتوارى عن الأنظار. لقد شكلت هذه الأحداث بداية تراكمات عنيفة ناتجة من وسط المجتمع الواقع عليه الاحتلال. وقد جاءت معبرة عن نموجيل جديد من الفلسطينيين، اذ تبين أن هذه الأعمال من صنع شبان صغار ولدوا وترعرعوا تحت الاحتلال. فقد جاءت تعبيرات هذا السلوك الجديد لتدل بأن هذا جيل يعرف عدوه جيداً الى حد تعلم معه أن لا يخشاه، وأنه يتمتع، من دون الأجيال السابقة، بروح ملؤها المبادرة المدروسة.

ضمن هذه الأجواء، أعلنت اسرائيل سياسة القبضة الحديدية. وعلى مدى عدة شهور، في أواخر عام ١٩٨٥ قتلت ٧ فلسطينيين وجرحت العشرات. وقد رافق ذلك رمي حجارة، وتظاهرات، اضافة الى ردود فعل عنيفة من قبل المستوطنين.

وهكذا، وبعد أزمات كبرى عصفت في الحركة الوطنية الفلسطينية الحديثة، بدأ أبناء الداخل اعتماد سياسة تحويل الأرض المحتلة لبؤرة أساسية للنضال لوطني الفلسطيني. وقد سار عام ١٩٨٦ وعام ١٩٨٧ على المنوال نفسه الذي شهدته الأرض المحتلة عام ١٩٨٥، اذ استمر الفلسطينيون في سياسة طعن جنود ومستوطنين، ثم النزول الى الشوارع لممارسة انتفاضات صغرى. وقد استمرت بعض

انعكاسات

هذه الانتفاضات أسبوع وأسبوعين، كان بعضها، بخاصة في شهر شباط/فبراير ١٩٨٧، عنيفاً، إذ خرج السكان بتظاهرات ورموا الحجارة وأقاموا الحواجز تأييداً للمخيمات الفلسطينية المحاصرة في لبنان، ورفضاً لسياسة القبضة الحديدية المطبّقة في الأرض المحتلة. بل لقد اعتبرت تلك التظاهرات الأعنف منذ انتفاضة الفلسطينيين التي نتجت عن قيام اسرائيل بحل البلديات المنتخبة عام ١٩٨٢.

لقد ثار الفلسطينيون مرات على الاحتلال. وشكلت انتفاضتهم عام ١٩٧٦ والتي تمت في ظلها انتخابات البلديات الوطنية (في الضفة الغربية وغزة) وبداية يوم الأرض في صفوف فلسطيني عام ١٩٤٨، محطات مهمة على طريق مقاومة الاحتلال بأشكال شعبية، كما شكلت انتفاضة الفلسطينيين عام ١٩٨٢، احتجاجاً على حل البلديات المنتخبة، محطة أخرى في الدفاع عن الوجود الوطني. الا أن الأهمية الكبرى للتطورات الجارية منذ عام ١٩٨٥ تعود أساساً لحدوثها بعد النكبة التي حلت في الحركة الوطنية الفلسطينية عام ١٩٨٢.

لقد أخذت الأوضاع، بخاصة في غزة، منحى جديداً عندما قتلت قوات الاحتلال في الأول من تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٧، ثلاثة فدائيين ينتمون الى منظمة الجهاد الاسلامي. تم بعد ذلك بأيام، وخلال اشتباك دامٍ، قتلت اسرائيل أربعة فدائيين من المنظمة نفسها، بينما فقدت ضابط استخبارات كبير، وتبين أن ثلاثة من الشهداء السبعة هم من الفدائيين الذين استطاعوا الهرب، أبان صيف عام ١٩٨٧، من سجن نفحة المعروف بتشدد الحراسة فيه. ولكن الجديد أن السجناء الهاربين لم يخرجوا من غزة، واستطاعوا القيام بمهام قتالية ضد قوات الاحتلال. وقد تم تأمين تنسيق بين منظمة التحرير الفلسطينية في تونس، والفدائيين الذين خرجوا من السجن، بحيث تم إيهام اسرائيل لفترة من الزمن. ان هؤلاء الشبان قد أصبحوا خارج الأرض المحتلة.

وقد نتج عن استشهاد هؤلاء السبعة، ان تحركت كل غزة، اذ بدأت خلال شهر تشرين الاول/اكتوبر ١٩٨٧ اضطرابات، انطلقت اولا من غزة، ثم امتدت الى الضفة الغربية. وقد ترافقت مع محاولات لمتطرفين يهود في اقتحام المسجد الأقصى. كما أن الاضطرابات ظلت تتأجج نتيجة قيام نقاط التفتيش الاسرائيلية باطلاق النار (بصورة متكررة) على السيارات المدنية العربية، مما أدى الى وقوع جرحى وخسائر في الارواح.

ثم وقعت عملية النسر (الطائرة الشراعية) التي عبرت من جنوب لبنان في ٢٥ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٧. وقد أكدت هذه العملية على انه بالامكان تحدي اسرائيل والتفوق عليها. وأصبح لسان حال الفلسطينيين في الأرض المحتلة: «مصدر قوتنا ارادتنا لا أسلحتنا، وسنجعل العالم يسمع»، بل بدأ الشبان الصغار يسخرون من الجنود الاسرائيليين علناً خلال دورياتهم المسلحة بالأرض المحتلة. لقد لعبت هذه العملية دور الصاعق الذي مهد لانفجار كل التناقضات المتراكمة على مدى عشرين عاماً من الاحتلال، وأربعين عاماً من النكبة، ومائة عام من الصراع.

ثانيا: أسباب الانتفاضة

لا يوجد عامل واحد مفجر للانتفاضة، اذ إنها نتيجة عوامل متفاعلة متداخلة. ولكن العامل الرئيسي والتاريخي يتعلق بطبيعة الاستعمار الذي يتعرض له المجتمع الفلسطيني. انه نمط من الاستعمار الذي يجمع بين الاستيلاء على الأرض واقتلاع السكان. وعلى مدى عشرين عاماً من الاحتلال، مارس، هذا الاستعمار، سياسة عزل وتشويه اجتماعي-اقتصادي-انساني-سكاني تجاه مجتمع بكامله. فعبر مصادرة الأرض، أصبح أكثر من ٤٠٪ من أراضي الضفة الغربية وغزة مملوكاً للاستيطان الاسرائيلي، وعبر بناء المستعمرات والحد من التنمية الزراعية والصناعية، ثم عبر ربط اقتصاد الضفة وغزة بـ «اسرائيل» عام ١٩٤٨، وتطويق القدس العربية بأحياء سكنية كاملة يقطنها حوالي ٨٠ ألف مستوطن، سعت اسرائيل الى ابتلاع الأرض وقهر السكان، بل وعبر فرضها للبضائع الاسرائيلية على الفلسطينيين، ليصبح استهلاكهم لها في الأرض المحتلة الثاني في العالم بعد الولايات المتحدة الامريكية (مما يدر ٦٨٠ مليون دولار على «اسرائيل» ويشكل ٩٠٪ من كل واردات الأرض المحتلة) أكملت اسرائيل اعتماد الأرض المحتلة عليها. كما أن ضرب الحرف المحلية والمساهمة في تحويل ٣٧٪ (٩٠ ألفاً) من قوة العمل في الأرض المحتلة الى عمال مياومين في مصانع ومستعمرات اسرائيل الواقعة في أراضي عام ١٩٤٨، كان أحد أقصى درجات تشويه المجتمع الفلسطيني.

لقد قام الليكود، أيضاً، وقبله تآلف حزب العمل، بقطع أشواط تاريخية لصالح الضم والالحاق. فكل يوم من أيام الاحتلال شهد تطبيق قوانين وسياسات جديدة تربط الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧ بالأراضي المحتلة عام ١٩٤٨. فعبر مسار تاريخي عنيف، قامت اسرائيل بتحويل القوانين العربية المعمول بها في الأرض المحتلة (القانون الأردني أساساً)، الى قوانين هامشية تخضع لقوانين الكنيست والأوامر العسكرية الصادرة من قبل الحاكم العسكري. فهذه الأوامر العسكرية لها فعل القوانين. لهذا، ولأسباب أخرى متعلقة بالضم والالحاق، جاءت الخرائط الاسرائيلية الجديدة بلا حدود وفروقات بين الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧، والأراضي المحتلة عام ١٩٤٨.

لقد قطع الليكود أشواطاً مهمة في ممارسة الاستيطان، فحتى مجيئه الى الحكم عام ١٩٧٧، انشئت اسرائيل ٣٤ مستعمرة في الضفة الغربية وغزة. وقد كان لهذه المستعمرات طابع استراتيجي ينسجم مع خطة ألون القاضية باعادة ٥٠٪ من الضفة الغربية و ٢٥٪ من غزة الى السيادة العربية. ولكن منذ مجيء الليكود وعبر خطط بدأها رئيس قسم الاستيطان بالمنظمة الصهيونية العالمية ماتتياهودروبليس (Matityaho Drobless) عام ١٩٧٨، تم انشاء ما يزيد عن ١٠٠ مستوطنة في جميع أنحاء الأرض المحتلة، إذ بدأ الاستيطان يتوجه الى المناطق الكثيفة السكان، التي لم تشملها خطة ألون. ومنذ عام ١٩٨٣، وضعت خطة مشتركة بين وزارة الزراعة الاسرائيلية، وقسم الاستيطان بالمنظمة الصهيونية العالمية كلفت ٢،٥ مليار دولار. وقد ركزت الخطة على مضاعفة أعداد المستوطنين، فمن ٢٧ ألف مستوطن في الضفة الغربية وغزة عام ١٩٨٣، أصبح العدد ٥٢ ألفاً عام ١٩٨٥. وعبر الخطة نفسها تم بناء مستعمرات اسرائيلية غير زراعية. فهذه أول مرة تقدم المنظمة الصهيونية العالمية على بناء مستعمرات لا تعتمد على نفسها من حيث الزراعة وأشكال اقتصادية أخرى، إذ أنشأت مستعمرات هي أقرب الى الضواحي الموصولة عبر سلسلة من الطرق السريعة، بالمدن الاسرائيلية الرئيسية (تل أبيب، القدس الغربية). هذه السياسة الاسرائيلية أدت الى استيطان العديد من الأسر التي وجدت بهذه الضواحي حياة هادئة رخيصة، اذ أصبحت طبيعة الاستيطان الجديد تتم لأسباب مصلحية تتعلق بأبناء الطبقة الوسطى الاسرائيلية، وليس لأسباب عقائدية كما عودتنا الحركة الاستيطانية.

وعبر الخطة نفسها تم أيضاً بناء من ٥ الى ٦ آلاف منزل للاستيطان سنوياً. وتم تعبيد ١٠٠ الى ١٥٠ كلم سنوياً داخل الأرض المحتلة. والجدير بالذكر، أن كل طريق عبد تم ادخاله ضمن نظام الطرق الاسرائيلية. وتم وصله بالأراضي المحتلة عام ١٩٤٨. وعبر ممارسة هذه الخطة، شددت اسرائيل أيضاً على لجم الزراعة الفلسطينية، ومنعت حفر الآبار الجوفية الممكن استخدامها لصالح الزراعة الفلسطينية.

انعكاسات

وكما يقول ميرون بنفنستي (Benvenisti) نائب رئيس بلدية القدس سابقاً والمسؤول عن مشروع بنك المعلومات الخاص بالأراضي المحتلة، لقد حول الاحتلال المجتمع الفلسطيني الى مجتمع ملحق باسرائيل. وان العودة بعقارب الساعة الى الوراء، أي الى حالة فصل هذين التوأمين لن تكون ممكنة بعد الآن، لقد أصبح الاحتلال متجذراً بحيث يستحيل اقتلاعه. فهذا الجسم الاستيطاني، حسبما يرى بنفنستي، ألحق الفلسطينيين جغرافياً، واقتصادياً، بالفعل لا بالقول، باسرائيل. لهذا لن يقدر المجتمع الفلسطيني على التفكير بنفسه دون أن يرى في المرآة جزءه الآخر المرتبط بواقع الاحتلال واستمراره الأبدي. وهذا يعني أن أفضل ما يمكن أن يحققه الفلسطينيون هو قيامهم بطرح قضيتهم في اسرائيل، لا على أساس أنها قضية شعب يسعى للتحرر الوطني والاستقلال، بل على أساس انها قضية مساواة وحقوق سياسية ومدنية داخل اسرائيل.

ولكن، وهنا تكمن الثنائية التاريخية المهمة، بينما كانت اسرائيل تبتلع فلسطين بالمعنى السياسي والاقتصادي والسكاني، وقفت عاجزة عن ابتلاعها بالمعنى السياسي. بل والأهم، انها في غمرة التركيز على الضم والتهويد والالحاق، حولت العقل الفلسطيني المقاوم الى بذرة ترتسم ملامحها المستقبلية داخل احشاء الكيان الاسرائيلي، عوضاً عن أن ترتسم على حدودها لشمالية حيث يسهل الانقضاض عليها بين الحين والآخر. وعوضاً من أن يؤدي ذلك الابتلاع الجغرافي الاقتصادي الصهيوني الى قبول فكري - عقائدي - سياسي - اداري فلسطيني بالأمر الواقع، أدى الى سعي دؤوب صامت، فاعل، على مدى السنوات العشرين، للتمسك بالتمايز السياسي. فبينما غطت الأمواج الصهيونية الجسم الفلسطيني، بقي الرأس مطلا فوقها. وقد تحول التمايز السياسي الى طاقة انتاجية بنائية. في ظل الاحتلال، ساهمت في نمو الادارة والمؤسسات والقوى الاجتماعية الفلسطينية القادرة على الرد على الالحاق والاحتلال. فالتناسب هنا كان طردياً. كلما تجذر وتعمق الضم والتهويد، تبلورت ونمت البنى التحتية المكونة لنواة الدولة الفلسطينية المستقلة.

ومن هنا كان لسياسة «صامد» التي اتبعت في المجتمع الفلسطيني قبل الانتفاضة، والمستندة الى وسائل لا عنفية أساسها قدرة الفلسطينيين على إبقاء وتصليب تماسكهم ووجودهم الروحي والمادي في ظل قهر الاحتلال وبطشه. فكما هو حال الحركة الصهيونية التي ربطت المستعمرة بالايديولوجية، بالزراعة، بدأت الحركة الفلسطينية بالداخل، ومنذ السبعينات بالربط بنجاح واضح، بين الفكر والممارسة بين الأرض والاقتصاد المستقل. فالصمود بالبيت، بالحقل، والمصنع، سمح للمجتمع الفلسطيني، الذي فقد الجزء الأكبر من طاقاته الشابة في السنوات التي تلت حرب عام ١٩٦٧، بأن يصحح الخلل الكبير بالهرم السكاني الشاب. وعلى مدى السنوات القاسية، تعلم الفلسطينيون كيف يعملون بالمصنع المعادي ويخربون الآلة. كيف يزرعون الأرض لتنبت مكافحين، كيف يبنون مؤسسة، نادياً، جمعية، نقابة، تنظيماً، وجامعة، تعمل جميعاً تحت الاحتلال وتقاومه.

والامثلة المعبرة عن نمو القوى الاجتماعية ذات الجذور العميقة بالمجتمع الواقع عليه الاحتلال كثيرة. وهي التي ترسم الفرق بين النضال السياسي ذي الصيغ السطحية، والنضال السياسي المستند الى قوى اجتماعية صاعدة في أحشاء المجتمع الفلسطيني وبناه. فالجامعات الفلسطينية التي نشأت في السبعينات بمبادرات محلية أصبحت، نظراً لاستقلالها عن كيان الاحتلال، إحدى أهم هذه القوى الاجتماعية الفلسطينية الصاعدة. فبعد حل البلديات المنتخبة، والتي شكلت حتى عام ١٩٨٢ قيادة النضال الوطني الفلسطيني في الداخل، بدأت الجامعات، والتي يبلغ تعداد طلبتها الآن أكثر من ١١ ألف طالب وطالبة، بالتحول الى حاضن كبير للثقافة والسياسة الفلسطينية الوطنية. فعبر مساهمات الطلبة برز الفن، والغناء والفولكلور المرتبط بالوطن والحفاظ على الهوية. ومن الجامعات انطلقت الاضرابات والكثير من أشكال العمل السياسي المقاوم للاحتلال. بل وتحولت الجامعات، وبمساهمات من أساتذتها، الى مراكز بحث عن المجتمع الفلسطيني، عن قراه ومدنه، اقتصاده وتاريخه، حاضره ومستقبله، كما أصبحت وسيلة اتصال مع العالم الخارجي ومكان لزيارات الصحافة العالمية وجمعيات حقوق الانسان. لقد تجاوز دور الجامعة في الأرض المحتلة ذلك الدور الذي يناط بالجامعة بأي مكان آخر بالعالم، اذ جمعت بين العلم وأبعاده وبين النضال وأشكاله. انها بلا شك بؤرة طليعية متقدمة للحركة الوطنية الفلسطينية بالداخل.

وعبر سنوات الكفاح، صهرت الجامعات طلبة وطالبات من القرى والمدن من الجنوب والشمال، من المخيم والقرية المحاذية، فخلقت مجتمعاً جامعياً صغيراً قادراً على كهربة قوى الاحتلال بطول البلاد وعرضها. وعبر أشكال العمل التطوعي المنظم الذي بدأته جامعة بيرزيت، ربطت الجامعات الفلسطيني بين العمل الفكري واليدوي. وبين الزراعة والصمود. فعلى مدار السنة، يذهب الطلبة الى المخيمات والقرى لتنظيف الشوارع، لبناء منازل هدمها الاحتلال، أو للمساهمة بالزراعة، أو بموسم الزيتون. لقد أدى هذا الى نمو في العقيدة النضالية والوعي الوطني الاجتماعي للطلبة، كما للقطاعات الشعبية المتفاعلة مع العمل التطوعي.

وتلعب قوى اجتماعية أخرى دوراً مهماً مرتبطاً بدور الجامعات. فأولا تشكل المدارس قوة رديفة للجامعات. فهناك أكثر من ٤٤٠ ألف طالب وطالبة بمدارس الضفة الغربية وغزة، وهم يشكلون ثلث السكان. ودورهم السياسي ليس مفصولا عما يجري بالجامعات والتيارات السياسية الفاعلة بها. كما أن للجوامع المنتشرة بالضفة الغربية وغزة، والتي يبلغ عددها بالضفة الغربية لوحدها ٨٥٠ جامعاً، دوراً مهماً في الاتصال بين جميع أبناء المناطق المحتلة. كما نمت الصحافة الفلسطينية المحلية، والجمعيات، والنقابات العمالية والمهنية، وأصبح لها دور أساسي لا يمكن فصله عن الجامعات وعن بقية أجزاء المجتمع. فعلى سبيل المثال، أن جمعيات النفع العام في الضفة الغربية، والتي يبلغ عددها ١٦٦ جمعية يتفرع عنها ٤٢٨ مؤسسة عاملة في داخل الارض المحتلة. ويستفيد من خدماتها ما يزيد عن ٦٨ ألف مواطن.

أما الطبقة العاملة التي نتجت عن سنوات من الاحتلال الالحاقي والتي أصبحت تشكل، عبر صيغة العمال المياومين العاملين داخل اسرائيل عام ١٩٤٨، ٣٧٪ من قوة العمل الفلسطينية، فقد نما لديها الوعي الوطني المرتبط باستغلال الخصم لها. وعبر ممارستها للانتاج في مصانعه ومؤسساته تعرفت على تناقضاته، وادارته وواقعه، ولغته. ان هذه الطبقة جزء لا يتجزأ من الصراع الدائر بين مجتمع الاحتلال والمجتمع المحتل. فهي قوة اجتماعية تعي الاحتلال وممارساته، والاضطهاد وصنوفه. فالاحتلال سلبها الأرض، ثم استلبها واستغلها وطنياً وطبقياً. فكم أخرج الاحتلال عبر ممارساته نقيضه في المجتمع الفلسطيني، حوّل الطبقة العاملة الى صورة مميزة لهذا النقيض.

ويشكل أيضاً المخيم الفلسطيني بداخل الارض المحتلة قوة شعبية طليعية من صلب العصب المقاوم للاحتلال. ففي المخيمات، يحيا أبناء الارض الذين شردتهم الصهيونية قبل غيرهم عام ١٩٤٨. أنهم الحالمون بالعودة الى الوطن الذي اقتلعوا منه. هذا، ويشكل سكان المخيمات قاعدة شعبية عريضة. ففي مخيمات الضفة الغربية الاحدى والعشرين، يقطن ما يقارب ١٤٠ الف مواطن. وفي مخيمات غزة الثمانية، يقطن حوالي ٢٨٠ ألف مواطن. ولو احتسبنا أعداد الفلسطينيين الذي لجأوا الى الضفة الغربية وغزة عام ١٩٤٨، القاطنين الآن بمختلف مدنها وقراها، والمسجلين أيضاً لدى وكالة غوث اللاجئين، لوصل العدد الكامل لهذه القاعدة الشعبية، أي القاطنة بالمخيم وخارجه، الى ٧٨٥ ألف مواطن، ويشكل هذا العدد نصف سكان الضفة الغربية والقدس وغزة البالغ ١،٦ مليون نسمة.

أما السجون، والتي تحوي آلاف المحكومين لسنوات طويلة ومؤبدة، فتحولت هي الأخرى الى مراكز بل الى قوة اجتماعية مميزة ومصنعاً أساسياً للنضال الوطني. فالفلسطينيون يدخلونها شباباً صغاراً، ليخرجوا بعد عشرة أو خمسة عشر عاماً مناضلين متميزين بوعي اجتماعي وسياسي عال. فبالسجن يتعلمون لغة العدو (العبرية) و ينهون الثانوية العامة. و بالسجن يؤلفون الكتب و يترجمونها، و ينظمون اضرابات السجون الطويلة. وعلى مر السنوات يكتسبون مناعة لا حدود لها و يكتنزون خبرات في وسائل مقاومة السجانين. هناك يتعلمون فن القيادة وأساليب بناء التنظيم الذي يصعب اختراقه. لقد شكلوا على مر الكفاح الفلسطيني نموذجاً لانتصار ارادة السجين على جبروت السجان.

لقد خرج المئات من المساجين المحكومين لسنوات طويلة أثناء عمليتي تبادل أسرى اسرائيليين، كانت منظمة التحرير الفلسطينية قد أسرتهم في لبنان عام ١٩٨٢. وقد أصر أغلب هؤلاء السجناء على البقاء في الضفة الغربية وغزة. وقد ساهم السجناء المحررين، بخبراتهم، وبفهمهم لعقل العدو، بتصليب عود الحركة الوطنية الفلسطينية بالداخل. فبكل جامعة، قرية ومخيم، هناك من بينهم من يعيد انتاج تجربته في المجتمع المقاوم الأكبر.

لقد ارتبط كل هذا أيضاً بنمو دور المنظمات الفلسطينية في الداخل وارتفاع قدراتها الادارية والتنظيمية والعسكرية. ولقد ارتفعت في صفوف هذه المنظمات روح المبادرة. فبدلا من انتظار أوامر من الخارج، بدأت تتصرف حسب ظروفها وحاجاتها الكفاحية، دون أن يعني هذا عدم استجابتها لمتطلبات التفاعل مع الخارج. ومن الواضح أن الوحدة الوطنية الفلسطينية التي أنجزت في المجلس الوطني المنعقد عام ١٩٨٧ في الجزائر، تركت آثاراً مهمة على أبعاد العمل النضالي ضد الاحتلال. إذ شكلت بعد ذلك المجلس لجنة لمتابعة العمل في الأرض المحتلة شاركت فيها الفصائل الفلسطينية بقيادة الشهيد «أبو جهاد».

ان الانتفاضة كما تجسدت لا يمكن أن تعبر عن عوامل اليأس. و يشهد التاريخ الانساني كما تؤكد نظرية جيمس ديفيس (James Davis)، أن الحركات والثورات الاجتماعية العميقة قامت بعد حالات انتكاس وتراجع وهبوط مفاجئة، تمت بعد مراحل من الانتعاش وارتفاع الآمال وتطور البنى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. ان الانتكاس المفاجيء في وضع القضية الفلسطينية بعد تكرار حالة ارتفاع الآمال بالسنوات الواقعة بين ١٩٦٨-١٩٨٢، تحول الى عامل رئيسي في احتقان الوضع الفلسطيني بالأرض المحتلة.

فبينما كان نمو القوى المنظمة والاجتماعية الفلسطينية داخل الأرض المحتلة يأخذ صيغاً جديدة من حيث الحجم والشكل والمضمون، كانت في الوقت نفسه جميع المبادرات السياسية العربية والعالمية والهادفة الى تحريك الوضع واخراج الاحتلال تواجه الفشل تلو الآخر. وقد ترك ذلك على قناعة المجتمع الفلسطيني بأنه لا خيار أمامه سوى أن يرمي بكل ثقله لانجاز التحرر. هذا وقد أوصل حصار منظمة التحرير الفلسطينية السياسي والعربي والدولي، وحصارها اسرائيلياً أولا في بيروت ثم عربياً في طرابلس ثم في مخيمات لبنان، الى نتيجة مفادها أن المدد العسكري لن يأتي من الخارج، وبأنه لن تقوم هانوي للثورة الفلسطينية. بل وجدوا أن حصار الحركة الوطنية الفلسطينية في ظل الجمود العام الذي تشهده القضية الفلسطينية، وفي ظل تفاقم الحرب العراقية-الايرانية، قد يؤدي الى أفنائها، والى تبلور حالة من الضياع الفلسطيني وغياب التمثيل شبيهة بتلك التي عرفها الفلسطينيون إبان السنوات التي تلت نكبة عام ١٩٤٨. وقد ساهم مؤتمر القمة العربي المنعقد في عمان تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٧ في تأكيد هذه الاستنتاجات.

ولقد تداخل هذا الوضع مع بعض خطط التنمية العربية التي قوت مؤسسات الاحتلال بدلا من أن تقوي مؤسسات المجتمع الواقع عليه الاحتلال. وساهمت أطروحات ادارة المنطقة المحتلة بتفاهم عربي-اسرائيلي (التقاسم الوظيفي)، المرسخة للاحتلال والمتجددة لشرعيته والمتلاقية مع أطروحات الحكم الذاتي المحدود، الذي يشمل السكان ولا يشمل الأرض والمياه والسياسة، الى اقناع الشعب بأن استمرار الاحتلال قد يكسبه شرعية دولية وعربية.

ولا شك، بأن تحول غزة الى واحدة من أكثر المناطق في العالم اكتظاظاً بالسكان، وارتفاع نسبة البطالة في الأرض المحتلة بين خريجي الجامعات. قد أضاف مشكلات كبرى على المجتمع الفلسطيني. وقد تداخل هذا مع الأزمة الاقتصادية العامة في البلاد العربية (الخليج والأردن) والتي حدت من المساهمات المالية التي يقدمها ابناء الأسر الفلسطينية العاملين بتلك البلدان لأسرهم في الأرض المحتلة. أن جميع هذه العوامل اضافة الى اغلاق سوق العمل والهجرة العربيين أمام العمالة الفلسطينية الخارجة من الأرض المحتلة، قد أوصلت المجتمع الفلسطيني الى منحدر صعب وقاس.

مع حلول عام ١٩٨٧ توافرت كل شروط الانفجار. وقد شهد ذلك العام، كما ذكرت سابقاً، أحداثاً كثيرة تعبر عن وضع جديد، لقد كان العنف الشعبي يتجمع، والعاطفة المقاومة للاحتلال تتكثف، تمهيداً لانقلاب جديد بالعلاقة بين الحركة الصهيونية والحركة الفلسطينية. أي تبلورت بدايات ايقاف سياسة الالحاق والتجذير الصهيونية. وجاءت الانتفاضة لتشكل الخطوة الأولى باتجاه طريق اللاتهويد واللاالحاق واللاضم وفك الارتباط، لا على مستوى رأس المجتمع الفلسطيني فحسب، بل أيضاً على مستوى الاقتصاد والأرض والوطن. انها بداية - مجرد بداية - نحو الاستقلال الفلسطيني الوطني.

ثالثاً: بداية الانتفاضة

في الثامن من كانون الأول/ديسمبر، صدم سائق اسرائيلي بشاحنته سيارتين بهما عمال فلسطينيون من غزة، وعلى الفور قتل أربعة عمال وجرح تسعة آخرون و«أعتبر أبناء غزة بأن الحادثة مفتعلة. وذلك ثأراً لمقتل بائع اسرائيلي بغزة في السادس من ديسمبر».. «٣ من الشهداء كانوا من مخيم جباليا بغزة.. فتوجه أربعة آلاف لحضور الدفن الليلي للشهداء».

في اليوم التالي (٩ كانون الأول/ديسمبر)، قام المئات بتظاهرات داخل المخيم، فقتل شاب في المخيم برصاص الاحتلال. وجاء رد فعل الجنود على التظاهرات مليئاً بالبطش والحقد، اذ نكلت قوات الاحتلال بمخيم جباليا لتعلمه درساً. فما كان من السكان إلا وأن بدأوا في مقاومته وبعنف لم يعرفه الاحتلال سابقاً. فهاجموا مركزاً عسكرياً اسرائيلياً في المخيم. ثم بدأت الاضطرابات تنتقل الى بقية غزة.

وهكذا أشعلت ردود فعل الاحتلال النار وسط شعب لم يعد قادراً على تحمل وجود هذا الاحتلال واستمراره على الأرض. وبنما الانتفاضة على أشدها في غزة، بدأت الثورة تمتد لتشمل، في الأيام التالية، مدن وقرى الضفة الغربية والقدس، ثم انتقلت التظاهرات وأشكال التضامن والتأييد الى عرب عام ١٩٤٨، أولا بالجامعات الاسرائيلية، ثم أمام منزل أسحق شامير في ١٩٨٧/١٢/١٥ ثم الى قرى ومدن الجليل والمثلث.

وهكذا شكل رد العدو على الانتفاضة الشاملة التي بدأها الشعب، بداية لادخال كل المجتمع الفلسطيني في صراع شامل معه، اذ سارع الجميع للنزول الى الشارع، ابناء الشعب وبناته، الذين ينتمون الى منظمات العمل الفدائي والذين لا ينتمون.

ومنذ الاسبوع الأول، بدأت الانتفاضة تدخل حيز التنظيم. فلا يمكن لانتفاضة

عفوية ان تستمر دون أن تدخل حيز التنظيم. وبسرعة تبلور التحالف بين الاتجاه الاسلامي بغزة، وتنظيمات المقاومة المعروفة «فتح» وهي الأكبر (والتي تضاعفت قوتها داخل الأرض المحتلة إبان الانتفاضة عشرات المرات)، الجبهة الشعبية، الجبهة الديمقراطية، والحزب الشيوعي الفلسطيني. وقد جاء هذا التحالف بناء على حوادث وتحالفات تبلورت خلال العام المنصرم. وقد نتج عن هذا التحالف، تلقيح كل تيار للآخر. فساهم الاسلاميون ببلورة الزخم العاطفي المحصن بالايمان، بينما قدم الوطنيون خبراتهم الكبيرة المكتنزة على مر السنوات والمقرونة بالحماس الوطني. إن هذا حدث عظيم لما له من أبعاد على النضال في الأرض المحتلة.

وقد تبلورت آلية استمرار الانتفاضة الفلسطينية في داخل الأرض المحتلة، عندما بدأ التيار العفوي العام، الذي صنع الانتفاضة ومدها بالطاقة، يلتقي مع التيار المنظم. وبدأت تنمو حالة وحدة وتفاعل وتأثر وتأثير بين التيارين. أي بدأ التداخل يتبلور بين المنظمات الفلسطينية وامتداداتها، والمؤسسات الوطنية في الأرض المحتلة من جهة، وحركة الشعب العفوية المعادية للاحتلال من جهة أخرى. هكذا بدأت الانتفاضة تعبر الى آفاق جديدة.

والجدير بالذكر، ان المنظمات الفلسطينية في داخل الارض المحتلة منتشرة في جميع المؤسسات، من نقابات وصحافة، واتحادات وجامعات ومدارس. كما أن لها اطاراً سرياً غير معروف يمتهن العمل المسلح. ولكنها تمتلك، وبالوقت نفسه، اطاراً علنياً معروفاً لا علاقة له بالعمل المسلح. أي انه إطار عام يمتهن العمل الشعبي السياسي ويتصرف كحزب سياسي، فيقوم بأحياء المناسبات الوطنية، يدعو الى التظاهر والاضراب، ويقاوم الاحتلال بكل الوسائل العلنية المتاحة، ونادراً ما يدخل طالب أو طالبة الى جامعة بيرزيت (مثلا) دون أن ينتمي سياسياً الى أحد التيارات السياسية الفلسطينية. وتمتلك هذه التنظيمات (الأحزاب) أطراً شعبية منتشرة في جميع الأحياء والقرى. فلحركة فتح اطارها الشعبي المعروف (الشبيبة)، وللجبهة الشعبية اطارها (لجان العمل)، وللحزب الشيوعي اطاره، وللجبهة الديمقراطية اطارها أيضاً. هذا البناء العام والانتشار التنظيمي ذو الجذور الشعبية في غزة والضفة الغربية داخل المخيم والقرية والمدينة أساسي لاستمرار الانتفاضة. لقد تبلورت هذه الوسائل الكفاحية الشعبية الجديدة بعد سنوات من الأعمال العسكرية داخل الأرض المحتلة. فمنذ أواخر السبعينات، بدأت المنظمات الفلسطينية باتباع هذا الأسلوب. ان هذه المؤسسات «الحزبية» الفلسطينية، أي منظمة التحرير الفلسطينية (فرع الارض المحتلة) أو صيغة القيادة الموحدة للانتفاضة المستندة اليها، والتي أعلنت عن وجودها عبر بيانها الأول في ٤ كانون الثاني/يناير ١٩٨٨، تتميز بوعي متقدم (اجتماعي-سياسي) وبمعرفة عميقة بالعدو، كما وتتميز بصغر سن قادتها، أي أنها مليئة بحيوية الشباب الضرورية لأي ثورة.

ولكن عندما انتبه العدو الى بدايات الفعل الفلسطيني المنظم، بدأ سياسة هدفها فصل السمك عن الماء. فسياسة تجويع السكان في المخيمات، التي بدأت في أوائل كانون الثاني/يناير، كانت محاولة ذكية من جانب اسرائيل لعزل القوى المنظمة عن السكان، وجاءت ردة فعل عفوية من السكان القاطنين حول المخيمات الفلسطينية في غزة، اذ فتحوا كل مزارعهم وأراضيهم الزراعية لأبناء المخيمات المحاصرة. وجاءت ردة فعل ثانية، اذ تألفت أولا في الناصرة (عرب عام ١٩٤٨)، ثم في بقية المناطق المحتلة، لجان شعبية أرسلت للمخيمات المحاصرة الغذاء والدواء والحاجيات الأساسية، عندما عرف أبناء المخيمات ان التضحيات هذه المرة ستقدم من جميع أبناء الشعب، لا من فقرائه فقط. هكذا استمروا في الانتفاضة، وفشلت خطة العدو في الايقاع بين الفعل الشعبي العفوي، والفعل التنظيمي الثوري.

لهذا، يمكن الجزم بأن انضمام التجار وأبناء الطبقة الوسطى الى صفوف الثورة اعطاها زخماً أساسياً مهماً. وقد جاءت هذه المساهمة لتعبر عن طبيعة هذه الثورة الوطنية. فهي ثورة كل الشعب بجميع طوائفه وطبقاته وفئاته. انها ثورة للطلاب والعمال والفلاحين التجار. وانها أيضاً ثورة تلعب فيها المرأة دوراً كبيراً. ان هذا التداخل والتلاقي بين كل فئات المجتمع الفلسطيني في الداخل، يعبر عن نمط مميز ومتقدم من الوحدة الوطنية.

واللجان الشعبية التي تكونت، أساسية لاستمرار الانتفاضة. فقد أصبح المجتمع الفلسطيني، عبر تفاعل اللجان الشعبية مع جميع المؤسسات والأطر والهيئات، مجتمعاً منظماً على الصعيد الأفقي والعمودي. فكل مهنة وكل قطاع وشريحة في المجتمع له لجنته التي تقود تحركه وأعماله. فهناك لجان للتجار ولجان للمرأة وهكذا. وكل حي ومنطقة ومخيم وقرية له لجانه المتخصصة. فهناك لجان للعمل التعبوي والاعلامي، ولجان للاشتباك مع العدو (أي لتنظيم الاضراب والتظاهر ورشق الحجارة)، ولجان للاعتناء بأسر الشهداء وبأسرى الانتفاضة وأسرهم. وهذه لجان شعبية الطابع واسعة العضوية، ولها أطر وهيئات، وتستند الى المبادرة والعمل الطوعي. فقادتها برزوا ضمن الحي والمخيم بناء على ممارستهم للمهام المرتبطة باللجان. والجدير بالذكر أن صيغة هذه اللجان، المستندة الى عمل شعبي وعضوية واسعة النطاق، تسمح لها بايصال قادة جدد كلما نجح العدو بأسر القادة السابقين. فهذه لجان متجددة بقياداتها وبأطرها وبطريقة عملها. واللجان المتخصصة بالاسعاف والتمريض (على سبيل المثال)، بامكانها أن تضم كل من يريد المساهمة في هذا المجال. والممارسة هنا، لا القدرة على التنظير، تصبح هي المحك.

وخوفاً من إجهاض الانتفاضة، قرر الاطار «المنظم» أن يستبق محاولات جديدة من العدو لضرب بعدها الشعبي العفوي. فبينما وقع الضغط في البداية على غزة، تحول فيما بعد نحو مناطق أخرى. لا شك ان في هذا جانبا يتعلق بمنطق الأحداث. لكن هناك جانبا يرتبط بحاجة الأطر المنظمة لاشراك الجميع ولتوزيع الجهد ضمن الممكن. لهذا وجدنا أن بؤر الانتفاضة الملتهبة انتقلت من مدينة الى أخرى، من المدينة الى الريف. ثم الى الجوامع، ومن قطاع الى آخر ومن جبهة الى أخرى. وقد تبلور وعي جماعي يتعلق بآلية الانتفاضة. إذ تسعى الارادة الجماعية المرتبطة بالقيادة الموحدة للانتفاضة، ليكون يوم الجمعة من كل اسبوع بداية لأسبوع نضالي جديد. كما تسعى الى خلق التوازن المطلوب بين النضال وأشكاله، وبين حاجات الشعب الاقتصادية. فعبر دعوة الشعب لتخصيص ساعات أو أيام محددة للانتاج الزراعي والصناعي، لتربية الدواجن وزراعة قطع الارض الصغيرة، لفتح المحلات ودعم المناطق المنكوبة، وفتح المدارس والجامعات، ثم تخصيص ساعات أو أيام للكفاح والنضال وإقامة المتاريس الجماعية المعبرة عن قوة روح المجتمع المقاوم للاحتلال، تخلق الانتفاضة ذلك التوازن الضروري بين استمرار الثورة واستمرار الحياة. أنها بهذا تدفع باتجاه إعادة تشكيل الاقتصاد الوطني الفلسطيني على أسس مستقلة. هذه هي الجبهة الأهم في معركة التحرر الفلسطينية.

د. شفيق الغبرا

المستقبل العربي

العدد ١٣ تموز (يونيو) ١٩٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

نداء.. نداء.. نداء..

أيها الأخوة.. أيها المسلمون.. أيها الناس،

هذا نداء من أرض الرباط.. من بيت المقدس.. من فلسطين الى كل قلب حي إلى كل ضمير نقي إلى كل من يؤمن بالله واليوم الآخر. إن قضيتكم اليوم تمر بمرحلة من أدق مراحلها وأكثرها حرجاً وألماً وخطراً، لقد مضت أشهر طويلة على إنتفاضة شعبنا الباسل في الوطن المحتل قدم فيها مئات الشهداء وآلاف الجرحى وآلاف أكثر من المعتقلين والموقوفين والأسرى دون أن تتحرك الجماهير الشقيقة ودون أن تتوقف مؤامرة الصمت والانتظار الطويل والمضني حولنا.

أيها المسلمون..

إن علينا أن نواجه قدرنا ومصيرنا بصدق مع الله ثم مع أنفسنا وجماهيرنا. إن قوى الشر والطغيان من القوى العظمى وعملائها وأذنابها في المنطقة العربية يتحركون اليوم وأكثر من أي يوم مضى لتطويق إنتفاضة الشعب الباسلة ويتحركون لاجهاضها واستنزافها تارة بالمبادرات ومقترحات الحلول التصفوية وتارة أخرى بالتضييق الاقتصادي والمادي وإثارة الفتن داخل الشعوب الاسلامية ومرات عديدة يحاولون اخراس صوت هذا الشعب البطل الذي فضحت إنتفاضته العظيمة هزيمتهم ومؤامراتهم وتخاذلهم وعارهم الأبدي.

أيها المؤمنون..

إن شعبكم وإخوانكم يستصرخونكم اليوم فهل فيكم من يصرخهم وينجدهم وهل منكم من يستجيب لأمر رسول الله (ص): «المسلم أخو المسلم لا يخذله ولا يحقره...»، إن السبيل الوحيد لكي تخرج هذه القضية من الظلام الى النور ولكي يخرج هذا الشعب من القيد والقهر الى الحرية والكرامة أن تستمر ثورته العظيمة، أن تستمر انتفاضته الباسلة، أن يستمر دعمنا لهم والتزامنا بهم إلتزاماً أخوياً حقيقياً.

لقد قدم الشهداء ارواحهم وقدم الجرحى دماءهم وآلامهم وعظامهم وقدم الأسرى حريتهم وتضحياتهم وثباتهم ووقفتهم الرجولية الى جانب شعبهم، فماذا قدمنا نحن اليوم؟ وما هي التضحيات والآلام التي شاركناها وتحملناها؟ وكيف نلقي ربنا سبحانه يوم القيامة؟ وماذا نجيبه إن سألنا عن كل ذلك؟

أيها الأخوة.. البذل.. البذل والعطاء الحقيقي اليوم هو العمل الصالح فعلا وقولا.. نريد أن نتحرر من الشح من الحرص ومن البخل ومن الخوف ومن الاستسلام لشهواتنا ورغباتنا.. نريد موقفاً رجولياً حقيقياً.. فالمال مال الله والعباد لله وحق الله مقدم على كل شيء، والله سبحانه وتعالى يريدنا أن نعطي ونعطي ونعطي حتى تكتمل أسباب النصر وحتى يتحقق لشعبنا في الوطن المحتل أسباب الصمود والاستمرار.. علينا أن نكون اليوم على مستوى المسؤولية والوعي لدورنا وللامانة الملقاة على عاتقنا، لقد كتب الله لدينه الاستمرار والعزة والسيادة في الأرض فان تم هذا بنا فهو شرف لنا ورفعة وكرامة ما بعدها كرامة، وإن تخلفنا وقعدنا عن واجبنا فان الله العزيز الحميد متكفل بدينه بنصره سبحانه بأمم غيرنا ولن يكونوا أمثالنا.

«هَذا بَلاغٌ للناسِ وَلِيُنذَرُوا به..»

«يا أيُها الذين آمَنوا هَل أدلُكُم عَلى تِجارةٍ تُنجيكُم من عَذابٍ أليمٍ، تؤمنون بالله ورَسولِه وتُجاهِدون في سبيلِ الله بأموالِكُم وأنفسِكُم ذلِكُم خيرٌ لَكُم إن كُنتُم تَعلَمونَ» صدق الله العظيم

١٢-٦-١٩٨٨م

لجنة التضامن الاسلامي لفلسطين

أميركا الشمالية

بيان من مسلمي جنوب أفريقيا

في اجتماع مشترك لجمعية العلماء المسلمين في الترانسفال وجمعية العلماء في الناتال والمجلس الاسلامي التشريعي في جوهانسبرغ، في منتصف يونيو (حزيران) الماضي، أصدر مسلمو جنوب أفريقيا بيانا حول قضايا الامة الاسلامية الحالية خصص بنده الثاني للانتفاضة الجماهيرية في فلسطين المحتلة ونص على ما يلي:

ان ممثلي مجالس العلماء المسلمين الثلاثة الرئيسية في جنوب أفريقيا يتابعون الجرائم التي يرتكبها يهود اسرائيل ضد مسلمي فلسطين، لافتين الانتباه الى العدد الكبير من المسلمين الذين قتلوا أو شوهوا أو عطلوا على أيدي الطغاة الصهاينة. كما وتلفت مجالس العلماء الانتباه الى الجرائم والمظالم التي يستمر الاعداد لها ضد الشعب الفلسطيني الشجاع الذي اغتصبت أرضه وهوت بيوته وحوصرت مساجده. اننا نعبر عن دعمنا الكامل لمسلمي فلسطين في جهادهم ضد اسرائيل وعن تقديرنا لشجاعتهم في مواجهة العدو لأكثر من أربعين عاما ونصلي لله عز وجل ليمدهم بنوره وبقوة من عنده حتى احراز النصر القريب ان شاء الله في جهادهم المقدس.

فلق الصباح

(مع الانتفاضة في أرض فلسطين)

مع هذه الانتفاضة في أرض فلسطين المسلمة، الارض المباركة، خرجت هذه القصيدة. لقد بدأت الانتفاضة بحدود الخامس عشر من ربيع الآخر ١٤٠٨هـ، السادس من ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٧م، على أثر عمليتين فدائيتين جريئتين إحداهما في القدس، والثانية في غزة، وأعلنت منظمة سرايا الجهاد الاسلامي مسئوليتها عن الحادثتين كما أعلنت استقلالها.

وأمتدت المظاهرات إلى الناصرة والخليل ونابلس وغيرها من مدن فلسطين. وكان المتظاهرون يجابهون الغاصبين اليهود بالحجارة. فوقع منهم القتلى والجرحى. واستمرت الثورة حتى يومنا هذا وما زالت ماضية. وعسى أن تكون إشراقة كأنها فلق الصبح يزيح الظلام ويجلو دفقة الدم الطاهر على الأرض الطاهرة المباركة.

إلى المقاتلين المؤمنين بالله، المجاهدين في سبيل الله، الثابتين على عهده، الماضين في الأرض، أقدم هذه الأبيات.

رجِّعْ ذويَّك في البطاحِ ودمدِمِ
وانهض لمَلحمةِ الجهادِ وأقْدمِ
رجع نداءَكَ في الوِهَاد وفي الذُّرى
وبكل منعطفٍ يَحِنُ إلى كَمِي
واطرق بصيحتك الفضاءَ فها هُنا
خنقوا النداءَ وأطبقوا فوق الفَمِ
وأرفع نداءك في السماءِ يُطُف على
أفلاكِهَا حُراً وبَيْنَ الأنجُمِ
مَنْ ذا يُجيبُك والدُنا قدْ سكَّرتْ
أسمَاعَها والدَّارُ قبضةُ مُجْرِمٍ؟!
فارْفعهُ للرحمٰنِ خفقةَ مُوقن
بالله لا غِر وَلا مُتَوَهِم
وَالجأ إليهِ فلمْ تَزل أبوابُهُ
مفتوحةً للسائِلِ المُتوسِّمِ
المُشرعاتُ على الرُبى ما بالُها
طُوِيتْ وما بَال الفتى لم يَحَزِم
ما بالُهمْ وقفوا وأضحى زحفُهُمْ
كالبَرقِ مِنْ أفق شحيح مُظلِمِ
هَلاَّ نشرت الفجرَ في جنباتهِ
ونَشرتَ مِنْ برقِ العزائمِ والدَّمِ
فأنهضْ! فَهَاتيك الرُّبى فَوحتْ
بالعِطرِ مِن عَبق الجهادِ المُلهمِ
أمجادُ تاريخ ووَحي نُبوة
وجلالُ إسراء وعِزةُ مُسْلمِ
ورفيفُ آياتِ تمُوجُ بِساحِها
نوراً فَيغمُرُ مِن رُبى أو مَعلمِ
قُدسيةُ الأنوار يخشعُ عِندها
قلبي ويطبُرُ مِن هوى أو مأثمِ

* * *

يازبوةَ الأقصى حنينُكِ أدمُعٌ
وأنينُ صدرِكِ من جوى لمْ يُكتمِ
تتلفتين! وأينَ إعصارُ الفتى
يُنجيكِ من زَهقِ الإسارِ المُحكَمِ
تتلفتين! وكُلُّ يومِ ثورةٌ
عَصفَتْ! وَقيدُكِ في الوغى لمْ يُحطمِ
أين الفتى لله يدفَعُ خطوَهُ
وثْباً كَبَارِق صارم أو لَهذمِ؟!
ويدُقُ أبوابَ الجِنانِ على دمٍ
حُر وعهدٍ في الوَغى لم يُثْلَمِ

* * *

فأنهض إذا أوفيتَ خُطةَ مؤمن
وصدَقْتَ نهْجَ الفَارِس المُترسمِ
وتَحفَزَتْ كُلُ الرُّبى! ياحُسنَها
والغارُ فَوق جَبينها والمِعصمِ
وازَّينت بالزاحفين كأنَّهُمْ
فَلَقُ الصباحِ جلا عَيسَرَ العَدْمِ
كُلُ الميادين التي هيَّجتها
هَبَّاتُ خَطَّار وهفَةُ مُعْلَمِ

* * *

أصوات

أملٌ على أجفانِنا وكُبُودِنا
وعلى مُحيّانا وفوق المَبْسِمِ
أملٌ كأنّ الفجرَ في بَسماتِهِ
ورفيقهُ بَينَ الطيوفِ الحُوَّمِ
وتضُمُّ في أحنائنا شرفَ الهوى
والشوقُ بين مُجنّحٍ ومُكتّمِ
لله ما تهفو القلوبُ إلى غدٍ
زاهٍ على مرّ الزمان موسّمِ
ومواكِبُ الايمانِ تجلو نصرها
لِتُعيدَ لألاءَ الفتوحِ اليُتّمِ
ومَجامِعُ الدنيا تُرددُ خَطوَها
الله أكبرُ أقبلي وتقدمي
لا تنثني إلا وفتحٌ مُشرقٌ
وكريمُ عِرضِكِ في الوغى لم يُكْلَمِ
دارٌ مُباركةٌ وساحُ رِباطِها
باب الجنان وآيةُ الشوق الظمي

* * *

يا يوم أن ثارت هُناك قوافلٌ
أترى تشقُّ من العجاج الاقتم
ما صدهُم فَقْرُ العتادِ ولا أسى
ذاك الإسارِ ولا فَداحةُ مَغْرَمِ
ما صدهُم حذر القريب وهوه
وهوانُ أحلامِ الغُفاةِ النُّوَّم
شدوا أكفهُمُ كأن زِنادها
وقْدُ العزيمةِ في لَهيبٍ مُضرمِ
ما كان فيها لو نظرت سوى الحصى
قد أرعدت في الأُفق إرعاد الكمي
وكأنها قصفُ المدافعِ ولّوَلت
ما بينَ أعراسِ الجهادِ ومأتمِ
وخناجر خفقت كأن دويها
رعدٌ يجلجل أو زئيرُ الضرغمِ

تركت قلاع الغاصبين كأنها
تهوي بمُصدعِ الجدار مُهدَّمِ

* * *

أملٌ يُداعبُهُ الخيالُ فهل ترى
صدق الخيال وجد بعد توهُّمِ؟!
أم أنه برقٌ! فيا للعزائم
هبت لأمرٍ من مُناها أحزمِ
يا خاطبة الايمانِ! إن جلاءَها
بين النزال وبين رأي مُحكَّمِ
شرفُ الفعالِ يُصانُ بين أسنةٍ
تجلو على الميدان نهج المُسلمِ
تمضي السنونَ وكُل يومٍ خدعةٌ
بين «الحلول» وأنّةُ المتظلّمِ
ونكادُ لا نرضى هوانَ خديعةٍ
إلا طويناها بحل أشأمِ

* * *

يا أمة الاسلام دربُكِ مُقفرٌ
ما بين أوهام تدور ومزعمِ
فدروبُها شوكٌ أشد عليكِ من
خرط القتاد ومن مذاق العلقمِ
شرك المُساومة التي ترجينها
شركٌ يمد إليك ناب الأرقمِ
هلا أفقت على الميادين التي
تهدي الى وضح السبيل الأقومِ
حق الشعوب يناله خطف القنا
والرأي رأي المؤمنِ المتقدمِ
فردي حياض الموت حتى تُوهبي
عز الحياةِ وأقدمي لا تحجمي

د. عدنان علي رضا النحوي ١٤٠٨/٥/١١هـ ١٩٨٨/١/١٢

• الاسلام وفلسطين *Islam and Palestine*

• نشرة غير دورية تهتم بشؤون الاسلام والقضية الفلسطينية

• تصدر عن: دار الجذور للطباعة والنشر

• ترسل الاشتراكات باسم
Al-JOUZOUR

• الاشتراك السنوي ١٢ جنيهاً استرلينياً أو ٢٠ دولاراً أميركياً

• المراسلات والاشتراكات على العنوان التالي:

Al-JOUZOUR *P.O.Box 6490*
LIMASSOL CYPRUS

وجميع المراسلات والاشتراكات في الأميركيتين على العنوان التالي:

I.C.P.
P.O. Box 350 256
TAMPA
FLORIDA - FL 33695
U.S.A.

IMP. CEDI. Firminy